

اهل الكشف ، كشيخه العارفه البوزيدي ، وشيخ شيخه مولاي العربي
الدرقاوي مع الشهرة والاستفاضة التي يثبت بمثلها النسب .

فصل

كان قدوم أحد أجداد سيدي عبد المؤمن الكبير من الأندلس في
أواخر القرن الخامس ، وبزل بأحوال تلسان ونشأ بها عقبه إلى أن اشتهر منهم
الولي الشير سيدي عبد المؤمن المذكور المعروف بأبي قبرين ، وذلك في
القرن التاسع أو آخره ثم انتقل حفيده سيدي عبد المؤمن الصغير إلى غمارة أو اسط
القرن العاشر خرج لطلب شيخ التربية فاتصل بالشيخ العارف أبي الحسن على
الشلي ، نزيل جبل سريف ، المتوفى به سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، وهو
من تلامذة العارف سيدي يوسف التليدي ، أحد تلامذة القطب الغزواني ،
فأخذ عنه وتخرج على يديه ، ثم انتقل يطلب محلاً يمتثل فيه للعبادة ، فترل
بالوضع المسمى بجكان ، من قبيلة بني منصور الغمارية ، وأقبل على العبادة ،
وظهرت على يديه كرامات كانت السبب في اشتهاره بتلك البلاد واستقراره
بها إلى أن مات وترك عقبه بها إلى اليوم .

الباب الثاني

في ترجمة أجداد الشيخ رضى الله عنه من قبل الأب والام

أما جده الأعلى سيدي عبد المؤمن بن علي ، الذي تنسب إليه عائلة الشيخ
رضى الله عنه ، فكان من كبار الأولياء ، ذا مناقب عديدة وكرامات كثيرة
شهيره ، وكان له أتباع يحبونه ويعظمونه غاية التعظيم ، كسائر أهل القبيلة
اليزناسية . وكان مقصوداً بينهم للتبرك والانتفاع به في الدين لما رأوا
من فضله ، وشاهدوا من كراماته ، وكان يقيم بموضعين من القبيلة المذكورة
وله في كل منهما تلامذة وأصحاب أحدهما يسمى بيدر ، والآخر ورطاس ،
وبهذا الأخير كانت وفاته ، وبه دفن أولاً . ثم جاء أهل بيدر ونقلوه إليها .

فلما علم أهل ورماس بذلك قصدوهم لرده إلى مدفنه الأول ، فامتنع من ذلك أهل بيادر ووقع بينهم نزاع كاد يفضى إلى المحاربة والقتال ، فبينما هم كذلك إذ وقف الشيخ على واحد منهم في رؤيا منامية ، فقال له : لم هذا النزاع وأنا موجود بالقبرين معاً ، فرهم يحفرون على القبرين فانهم يجدوني في كل منهما ، فلما أخبرهم بما رأى فعلوا ذلك ، فوجدوا الشيخ في كل من القبرين ، فرضى الفريقان . وبني كل واحد على القبر الذي عنده قبة ، هما موجودتان إلى الآن ، وكلتاها مزاراة مقصودة .

وبسبب هذه الكرامة اشتهر في قبيلة بني زناسن بسيدى عبدالمؤمن ، أبو قبرين . ولا يزال أهل تلك النواحي يشاهدون له كرامات ويؤثرون عنه مناقب وحكايات ، إلا أنه لقلّة اعتنائهم بالتاريخ لم يدون أحد منهم للشيخ ترجمة ولا كتب تاريخ وفاته على التهيين .

فصل

وأما حفيده سيدى عبد المؤمن دفين تجمكان فانه لما قدم إليها بعد أخذه عن العارف أبى الحسن الشلى نزل على أحد سكان القرية فأكرمه باعتباره ضيفاً غريباً ، ثم كلفه برعى غنمه ، فكان يخرج بها صباحاً ثم يذهب إلى محل بعيد فيه حفرة واسعة فيجمعها هناك ثم يقبل على العبادة إلى آخر النهار ثم يعود بها ، وأحياناً يذهب لناحية أخرى فيتركها وحدها وينصرف . فمر ذات يوم بعض الناس على تلك الغنم ، ورأى ذئباً يحوم حولها ، فذهب إلى ربها وأخبره ، فذهب للتحقق مما قال فوجد الغنم ترعى والذئب يحرسها ، فتعجب مما رأى ورجع إلى موضعه ، فلما جاء المترجم آخر النهار سأله عن الحقيقة وألح عليه في ذلك ، فأخبره أنه يذهب إلى مكة المكرمة للصلاة بها ، ويترك الذئب حارساً للغنم ، فترك الرجل بعد ذلك تسكينه برعى الغنم ، وقال له : اشتهل بعملك وعبادتك ، ولا تفكر في القوت والمؤنة ، وبالغ في تعظيمه

واحترامه ، واستمر على خدمته إلى أن مات . ودعاه الشيخ بدعوات لا يزال أثرها سارياً في عقبه إلى اليوم . ثم اشتهر أمره بتلك النواحي ، وكثر ظهور الكرامات وخوارق العادات على يديه كما هو مشهور بين أهل تلك النواحي إلى اليوم ، وذكرنا منها جملة في المؤذن وفي الأصل .

توفي بتجكان ، وقبره مزاراة بها ، وعليه قبة عظيمة ، إلا أننا لم نعثر على تعيين سنة وفاته .

فصل

وأما جد الشيخ الأذنى والد والده العارف الكبير . القطب الشهير سيدي أحمد بن عبد المؤمن ، فكان أعجوبة عصره ، ونادرة زمانه ومفرد وقته في العلم والمعرفة وهداية الخلق مع كثرة الاتباع وبعد الصيت وانتشار الذكر . وقد أفردت ترجمته بتأليف ، سميته : المؤذن لمناقب سيدي أحمد بن عبد المؤمن .

ولد رضى الله عنه على رأس المائتين بعد الألف ، وحفظ القرآن بالسبع وأتقن علم القراءات وتضلّع منه غاية ، ثم طلب العلم ببلده على رجل غريب من الأولياء وبسبب غريب ، وهو أنه قصد ضريح ولى الله سيدي أحمد الفلالي ، فكان يختم فيه كل ليلة ختمة كاملة من القرآن العظيم في الصلاة ، ويسأل الله تعالى أن يبسر له من يأخذ عنه العلم ، لأنه تحير في ذلك ، ولم ينشرح صدره لطلبه بفاس ، فاستمر على ذلك أربعين ليلة ختم فيها أربعين ختمة ، وصبيحة اليوم الحادى والأربعين نزل من ضريح الشيخ المذكور ، فوجد بالطريق رجلاً منكشاً في مرقعته من شدة البرد ، وعن يمينه وشماله أكوام من الثلج وحال الغربة بادية عليه فسلم ، وسأله عن حاله ، فأجابته بأنه غريب مسكين ، فطلب منه الشيخ أن ينزل معه ، فامتنع واعتذر بأن رجله

حافيتان ولا يقدر على المشى فى الثلج بدون حذاء فخلع الشيخ حذاءه وأعطاه إياه ، فلبسه ونزل معه فأطعمه وأكرمه ، وبقي معه ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع قال له : أتعرف من أنا . قال لا . قال أنا من بلاد بعيدة جئت مخصوصاً من اجلك أرسلنى سيدى على بن أحمد من جبل صرصر لأعلمك العلم ، ففرح غاية بهذه الكرامة التى أجاب الله بها دعوته على يد الولى الشهير سيدى على ابن أحمد ، وذلك من طريق الغيب والتصرف بعد الموت لأن سيدى على بن أحمد المذكور مات سنة سبع وعشرين وألف ، فلازمه ستة أشهر ظهرت عليه فيها بركته مع ما كان عليه الشيخ من التقوى والصالح والاجتهاد فى العبادة ، ولاحت عليه لوائح الفتح فى سائر العلوم المعقول منها والمنقول ، بحيث صار إمام وقته فى تلك البلاد وما والاها فى علوم الظاهر ، ولم يجلس بين يدى عالم سوى ذلك الشيخ . إلا فى علم المنطق فانه أخذه بعد ذلك عن تلميذه فى الطريق العلامة سيدى أحمد بن عجيبة الصغير . وإلا علم الفلك فانه أخذه عن تلميذه فى الطريق أيضا الفقيه مفرج . ثم بعد هذا تعلقت همته بسلوك الطريق ، فأخذ أولاً الطريقة الناصرية على الشيخ محمد خمريش ، وأسس زاوية ببلده لذلك وظائفها ، ثم لما تحقق أنها طريق ذكر وتبرك ، لا طريق فتح وسلوك جرد سيف العزم لطلاب الشيخ المرهبى فقصده الحجاز لأداء فريضة الحج والبحث عن القطب ، ومر فى طريقه على القاهرة ، فاجتمع بالعارف الصاوى ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، بقصد التبرك . ثم لما وصل إلى عرفة ، بينما هو واقف بها إذ حاذاه رجل ، وقال له . أتدرى من قبل الله حجته فى هذا الموقف . قال لا . ، قال قبل حجتي وحجتك وبسببنا قبل حجة الجميع . ثم قال له . والقطب الذى تطلبه تركته فى بلدك ، وهو العربى بن أحمد الدرقاوى ، قال فحصل لى من الفرح مالا يعلمه إلا الله ، ولولاخريفى من قول الناس حج مازار لرجعت من مكة .

ثم لما رجع إلى وطنه لم يمكث مع أهله إلا ثلاثة أيام ، ثم توجه لمقابلة الشيخ المذكور ، ولما كان بالطريق مر على عين ماء ، وكان برفقته أخوه ، ورجل آخر ، فتوضؤا وصلى بهم الظهر ، ثم قام إلى تلك العين وجعل يغتسل ، فقال ذلك الرفيق في نفسه لعل الشيخ كان جنباً وتذكر ذلك بعد الصلاة فلما فرغ سأله عن سبب اغتساله . قال إني اغتسلت من علمي ومن عملي . إلا ما يأتيني على يدهذا الرجل . ثم توجه إلى الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضى الله عنه ، ففرح به كثيراً واقمه الاسم المفرد بالسلفية التي أخذها عن شيخه القطب الجمل رضى الله عنه ، وهى تشخيص حروفه مجردة في غير لوح ولا جدار . ثم لم تمض عليه إلا أيام يسيرة حتى لاح له الفتح وطويت له الطريق في العلم الباطن كما طويت له في العلم الظاهر وصار يترقى في المعارف إلى أن حل مقام القطبية وورث مقام شيخه كما أخبر شيخه بذلك قبل وفاته وبعد موته لبعض أصحابه ، وأذن له شيخه في التريسة والنسليك ، فتصدر لذلك في حياة شيخه ، واشتهرو بعد صيته ، وأقبل الخلق عليه وقصدوه للانتفاع في علم الظاهر والباطن فإنه كان مفتياً في النوازل موثقاً من الطبقة العليا ، كما وقفت على كثير من الوثائق من إملائه وبخطه المتقن الذي كتب به عدة من الكتب ، وكان فصيح اللسان ، طويل الباع في العلوم والمعارف ، شديد الاستحضر ، آية من آيات الله . إذا تكلم بهر العقول حتى كان يعبر عنه بعض العارفين بأعجوبة الزمان .

وقال بعض بنى سودة لولده سيدى الصديق . لقد طفت بالشرق والمغرب للبحث عن الشيخ ، ورأيت عدداً كبيراً من المشايخ ، فما رأيت أفضل من والدك ولا أعتقد أن يوجد من هو أكمل منه وأفضل إلا النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال له العلامة الصالح سيدى الحسن كنبور . لما اجتمع به ان العادة جارية

بأن من صرف عنايته لعمارة الباطن لا يتهياً له ضبط الظاهر ، وأنت جمعت بين الظاهر والباطن .

ولما اجتمع بشيخ القراء في عصره العلامة سيدى. إدريس البكراوى ، وبات يذاكره ليلة إلى الصباح في علم القراءات . قال له . ما كنت أظن أنه بقى من يذاكرنى في هذا الفن ، وإذا مت أنا وأنت انقطع من يتقنه فقال له الشيخ لا تقل هذا . فإن فضل الله لا ينقطع .

ولما قصدته الشريف العلامة السيد محمد التهامى العلوى لأخذ الطريق عنه بإشارة من الشيخ مولاي العربى رضى الله عنه وجده في بعض المداشر ببني زروال يقرأ الحزب من القرآن مع الفقراء عقب صلاة الصبح ، فكان أول ما وقع سمعه عليه قول الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، قال فلما انتهى من قراءة الحزب شرع يتكلم على هذه الآية فأتى بما بهر العقول واستمر يتكلم عليها إلى وقت صلاة الضحى .

وكان ذا جد واجتهاد في العبادة وعمارة الوقت حضراً وسفراً .

وكان ورده من القرآن ختمه كل ليلة وكان له ورد من صحيح البخارى يقرأه كل يوم بعد صلاة الصبح .

وله كتاب نفيس في آداب المريـد ورسائل عديدة مجموعة في مجلدة لطيفة هي غاية في الارشاد والدلالة على الله تعالى وله تقايد كثيرة منها تقييد على الأبيات المنسوبة للجنيد التي أولها توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وصدرت على يديه كرامات كثيرة جداً .

منها أنه أتى مرة إلى تطوان ، وكان قائدها أشعاش سجن رجلاً فجاءت والدته إلى الشيخ وطلبت منه أن يستشفع لولدها عند القائد فأجاب طلبها وتوجه إليه ، فلما رآه القائد من بعيد عرف أنه يقصده في أمر ، فقال لحاجبه لصرفه عنى بما تراه ، فخرج إلى الشيخ ولقيه من بعيد قبل أن يصل إلى

باب المحكة سائلا إياه عن مراده ، فقال له جئت مستشفعا في ولد هذه المرأة ثم غرز عكازه بالأرض، وقال الله مادا بها صوته فصار القائد يشير إلى الحاجب نحو السجن أى اذهب وأخرجه فذهب وأخرجه وانصرف الشيخ فتكلم القائد، وقال لأصحابه لو لأنكم بأدرتم بأخراج الرجل من السجن لخرجت روحى ، فانه لما غرز عكازه فى الأرض أحسست بها كأنها مغروزة فى صدرى حتى كدت أموت ولم يبق لى لسان أنطق به .

ومنها أن تلميذه سيدى على حلحول كان معه بتجكان مدة طويلة ، قال فبينما أنا ذات يوم جالس إذا بالشيخ أتانى بكتاب مختوم ، وقال : اذهب على بركة الله فأخذت الكتاب وانصرفت ، ولم أدر لمن الكتاب ، ولا إلى أين أذهب فقصدت دارى ، فلما كنت بنصف الطريق قابلتنى امرأة من مدشرنا فقالت عظم الله أجرك ، فقلت لها فيمن ، قالت قد وقعت دارك على المرأة والأولاد ومات الجميع وقد دفنوا ، قال فعند ذلك فكرت فى كتاب الشيخ وعلمت أنه لى ففتحتة فاذا فيه ، وبعد فما دمت تركز إلى أهل وولد ووطن واخلاء ومسكن ، فلست بقائل لا إله إلا الله على الاطلاق والسلام ، قال فرجعت إليه ، فلما رآنى قال قبل أن أكلمه عظم الله أجرك وفى سبيل الله ما نزل .

ومنها أن جماعة من تلامذته بنفاس دعوه فى بعض قدماته إليها لتناول طعام الغداء وانفقت دعوتهم فى يوم واحد ، فأجاب الكل وحضر عند الجميع فى وقت واحد .

ومنها أنه دخل يوماً إلى المسجد لصلاة الجمعة وقد بقى لخروج الخطيب نحو ربع ساعة ، فافتتح يصلى ركعتين فختم فيهما القرآن بتامه ورجل إلى جنبه يستمع ، ثم خرج الخطيب .

وله كرامات غريبة ذكرتها فى الأصل وفى ترجمته المفردة مات ضحوة يوم

الأربعاء سابع عشر جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين ومائتين وألف ودفن بتجكان ، وقبره مزاراة عظيمة وعليه قبة حافلة ، ويقام له مولد كل سنة .

فصل

وأما والد الشيخ رضى الله عنه ، وهو ولد المترجم قبله فهو العارف بالله الهائم في محبة المأم في بحر مشاهدته صاحب الأذواق والأحوال والكرامات أحد الأبدال سيدى الصديق رضى الله عنه ولد سنة ست وأربعين ومائتين وألف ، وحفظ القرآن في حياة والده ثم قبل التوجه لطلب العلم توفى والده ولم يترك ولداً غيره ، فعزم أصحاب أبيه على توجيهه إلى فاس لطلب العلم فامتنعت والدته إذ لم يكن لها ولد غيره ، وليس عندها من يقوم بالزاوية العامرة بالفقراء والمقصودة للزوار والضيوف فزوجته وبقي معها يعمر الزاوية ، ثم أخذ الطريق عن تلميذ والده العارف بالله سيدى الهاشمى بوزيد الذى كان يسمع ذكره للاسم المفرد من قبره بعد موته إلى أن أتى إليه بعض إخوانه من تلامذة الشيخ ، وقال له تأدب مع الحضرة فانك انتقلت إلى عالم البرزخ فسكت وسلمك على يديه إلى أن فتح له فى أقرب وقت فساد واشتهر وأقبل عليه الخاص والعام ، وكان ذا جاه عظيم بين القبائل الجبلية الغمارية يدخل فى الشفاعات فى الأمور العظام ويتوسط فى الخصومات والجرائم الجسام لا ترد له كلمة ولا تسقط له شفاعاة سواء بين العائلات والأفراد وبين عموم القبائل ، وكان مغرمًا بشراء العبيد والأماء والبغال فاقتنى من ذلك الكثير ، وكان لا يبقى فى يديه من الدنيا شيئاً ولو دخات الآلاف المؤلفة وأضاع كل ما تركه والده من كتب وغيرها ولم يلتفت إلى شىء من ذلك .

وكان عظيم الشوكة فى الباطن لا يسوء أحد الأدب معه إلا عوقب فى

الحال وكان والده رضى الله عنه أخبر عنه بذلك فكان يقول لأصحابه إذا شاب رأسه وطار نعاسه فكونوا منه على بال فكان لا ينام الليل إلا قليلا وكانت عادته أن يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلى مدة ثم يرقد قليلا ثم يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلى ماشاء الله ، ثم يرقد، وهكذا مرارا إلى أن يطلع الفجر .

وكان رقيق القلب إذا سمع موعظة بكى ، كما أنه كان إذا سمع آلة الطرب يكثر من البكاء ويحصل له شوق عظيم إلى الحضرة العلية وكان محبوباً للخاصة والعامة منور الشيبة بهى الطلعة متواضعاً فيه دعاة لا يمله جليسه يمازح العامة ويياسطهم إذا جلسوا إليه ، ويكون واحداً منهم لا يميز عنهم وربما حدثهم في أمور النكاح والنساء ، وكان يحب التزوج فتزوج كثيراً ولم يمت حتى رأى نحو مائة من الأولاد والأحفاد والأشباط وكان بين بكره أول أولاده وآخرهم ما يزيد على ستين سنة .

ذكر مولانا الشيخ الوالد قدس سره أن بعض أهل الله قال له : إن والدك تحت نظر سبعة من أكابر الأولياء فوالله لو توجه إلى جبل خرقه بنظرته لسلامة صدره وحسن نيته ، وكان هو يقول في حقه أنه من الأبدال وجرت على يديه كرامات عديدة منها أن صاحبه أحمد عريط وكان يمازحه كثيراً سأله يوماً فقال له متى أموت ياسيدى فقال له في اليوم الذى تذهب إلى السوق وترجع بالكيل على رأسك لا تكيل به لأحد وكانت حرفته كيل الحب بالسوق فبعد وفاة المترجم بمدة ذهب يوم الثلاثاء إلى السوق واستمر طول اليوم فلم يدخل السوق حب فرجع ولم يكتل شيئاً فلما وصل إلى بيته . قال لأهله إني غداً أموت فلا بد أن أحمل الجنازة في حياتى فصار أهله يردونه عن ذلك وهو يقول لا يمكن أن يتخلف خبر سيدى الحاج الصديق فذبح جدياً وأولم للطلبة الذين يقرأون القرآن في

الجنايز وقرأوا القرآن على العادة فلما نام بالليل وأصبح تأخر في النوم فركه أهله فاذا هوميت .

ومنها أنه كان جالساً مع أعيان القبيلة المنصورية فقال لهم على سبيل المباشطة كما كانت عادته معهم ليس من المليح لفلان لواحد منهم إلا أن يموت يوم الاثنين وهو حاضر صحيح ، فلما كان يوم الاثنين أصبح الرجل المذكور ميتاً ، فلما وصله الخبر قال نحن إنما كنا نمزح معه وهو ظن أن الأمر جد .

ومنها أن أولاد الصديق الطويل من بني سلمان كانوا يخدمونه وكانوا هم أعيان قبيلتهم وسراتها فصدر منهم ما أوجب عداوة أهل القبيلة بأسرها لهم وهم أزيد من ألفي نفس وعزموا على القدوم إلى دارهم لحرقها وتخريبها عقوبة لهم على ما اقترفوه فجاءوا إلى المترجم وأخبروه بعزم أهل القبيلة وقالوا لا طاقة لنا بأهل القبيلة فقال لهم لا تخافوا أتم البارود ونحن الرصاص فلما رجعوا إلى بيتهم جاءت إليهم القبيلة فنشبروا . مهم الحرب وصمدوا لهم نحو ساعة ثم شتتوا شملهم شذر مذروهم سبعة والقبيلة نحو الفين ولم يمض من الأخوة أحد فكانت وقعة عجيبة لم يسمع بمثلها إلى غير ذلك مما يطول مات يوم الجمعة ثالث وعشري ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة الف .

فصل

وأما والده الشيخ فهي الشريفة الجليلة الولية الصالحة الذاكرة القاتنة فاطمة بنت الشيخ العارف العلامة أبي العباس أحمد ابن عجيبة الصغير كانت عديمة النظر في الصلاح والتقوى والسك والعبادة أخذت الطريق عن عمها العارف الشهير سيدي عبد القادر ابن عجيبة تلميذ الجد سيدي أحمد ابن عبد المؤمن السابق وصحبه وتأدبت بأدب أهل الطريق وتخلقت بأخلاق أهل الصدق والتصديق لسانها لا يفتر عن الاستغفار فان كلمها أحد أجابته

ثم رجعت إلى الاستغفار وكانت تهيب لزوجها أمر الزواج وتصلح من شأنه
وتدخله على العرايس التي أتى بهن ضرراتها ثم تقبل على العبادة ولا يأخذها
ما يأخذ النساء عند ذلك من الغيرة ، وكانت لشهرتها بالصلاح والتقوى عظيمة
الجاه مقبولة الشفاعة يقصدها الناس لذلك وكانت عند كبرها تكثر السفر
لزيارة شيخها وأحياناً تصحبها نجلها مولانا الشيخ الوالد ليتبرك بالصالحين
وأزارته ضريح القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ، وكانت حريصة على
تربيته على الاعتقاد والمحبة وتعظيم أهل الله والمحافظة على أداء الفرائض
والتأدب بأداب الشريعة ، وكانت تقوم بالليل ، فإذا صلت الصبح جاست
لذكر الهيلة جهراً مع جماعة النسوة إلى أن تطلع الشمس وتصلي الضحى .
ماتت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف

فصل

وأما والدها فهو الشيخ العلامة الفقيه الصوفي العارف أبو العباس أحمد بن أحمد
ابن عجيبة الحسني .
ولد رابع جمادى الثانية من سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف بقرية
الزميخ من القبيلة الأنجزية ، ومات والده وله من العمر سنتان ، فنشأ في
حجر بعض تلامذة أبيه ، ولما حفظ القرآن توجه إلى فاس لطلب العلم ،
فأخذ بها عن جهابذة شيوخها ، كبدر الدين الحمومي ، وعلى بن هبيل السلام
التسولي شارح التحفة والقاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي وأضرابهم
وأقام مدة اجتهد فيها وحصل ثم رجع إلى بلده سنة سبع وأربعين ، واجتمع
بجدنا سيدي أحمد بن عبد المؤمن فأخذ عنه وسلك على يديه وكان علامة
محققاً فصيحاً بليغاً حافظاً له باع في العلوم لاسيما المعقولات ، فكان لانظيره
فيها بتلك النواحي
واتفق أن قدم إلى طنجة بعض علماء شنقيط ، فاستطالوا على أهلها

يحفظهم ومعرفتهم وصاروا يناظرون طلبتها ويجهلونهم في المحافل .

فلما اشتهر أمر المترجم طلبه أهل طنجة في القدوم إليها لمناظرة الشناقطة فأجاب طلبهم وقدم إلى طنجة وناظر المذكورين وقهرهم وأظهر قصورهم فرحلوا عنها وأحبه لذلك أهلها وطلبوا منه الإقامة بها للافادة والتدريس ، وزوجه بعض سراتها بابنته وصار ينفق عليه وأكرمه غاية فأقام بها إلى أن مات ، وكانت دروسه ممتعة للغاية ، يلقيها بفصاحة واستحضار وحفظ يتعجب منه الحاضرون .

وكان يعتريه جذب في بعض الاحيان . توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، فلما ركب البابور ووصل وقت الصلاة قام لأدائها فاما مر بين يديه بعض الخدمة بالبابور أو منعه من الصلاة في مكان معين منه .

فقال لا يمكن السفر تحت سيطرة الكفار المؤدى لضياع الفرائض . فلما رست الباخرة بمرسى جبل طارق نزل ورجع الى طنجة ألف مؤانسات إلا أن يد الإهمال والضياع سطت عليها فأتلقتها وأخفت معالمها ، فلم ترمنها إلا أوراقاً من فهرسته . وبلغني أن له رسالة في الخواص وكتاباً في العبادات ورسائل في التصوف .

وكان يتمنى حضور الجهاد لما بدت بوادر الخلاف بين المسلمين والاسبان ولكن عاجلته المنية قبل بلوغ الأمنية ، فمات قبل ذلك بسنة ، فان الحرب وقعت سنة ست وسبعين ومائتين وألف ، ومات هو سنة خمس وسبعين لم يبلغ الستين ، ودفن ببيته الذي كان يسكنه وفتح له باب إلى الطريق وجعل ضريحاً له .

فصل

وأما والده فهو الشيخ الامام الصوفي المفسر العارف الكبير أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة .

ولد سنة ستين أو إحدى وستين ومائة وألف وحفظ القرآن وبعض المتون كالآجرومية والخلاصة والمرشد المعين والقرطبية ومورد الظمان وحرز الآمان وغيرها . ونشأ في صغره نشأة عجيبة في المروءة والتقوى ومجانبة اللعب والصبيان مع حب العبادة والانقطاع لها وقيام الليل وهو دون البلوغ . ولما بلغ من العمر تسع عشرة سنة توجه إلى القصر الكبير لطلب العلم به فأخذ عن الفقيه محمد السملالي السومى ، ولازمه سنتين بانقطاع واجتهاد ، فكان يحضر عليه سبعة دروس في اليوم والليلة مع استدامة التهجد بالثلاث الأخير من الليل ، ثم رحل إلى تطوان فأخذ بها عن أحمد الرشتي وعبد الكريم بن قريش ولازمهما في النحو والصرف والمنطق والكلام والفقہ والحديث والتفسير والعروض والاصول والبلاغة والسير ، وسمع من الأخير صحيح البخارى أزيد من سبع مرات وصحيح مسلم مرة واحدة وعن محمد الورزيزى في الاصول والبلاغة والفقہ ، وأجاز له اجازة عامة . وعن محمد العباس النحوى في النحو ، وعن عبد السلام بن قريش في التفسير والحديث وعن الفقيه الشهير أبى عبد الله الجنوى في الفقہ والبلاغة والاصول والتصوف والتفسير ، وسمع عليه صحيح البخارى مرتين ، وجزءاً من صحيح مسلم ، ثم رحل إلى فاس فسمع بها الصحيح على العلامة محمد التاودى بن سودة ، وأجاز له اجازة عامة ، وأخذ عن الفقيه محمد بنيس علم الفرائض وجزءاً من التسيهل لابن مالك وأجاز له اجازة عامة . وعن أحمد الزعرى بعضاً من التفسير . وعن العلامة الطيب بن كيران في البلاغة ، وحصل وبرع في العلوم ، ثم رجع إلى تطوان فأقام مدة يشتغل بالعلم ثم تركه وانقطع للعبادة بسبب قراءته لشرح ابن عباد على الحكم فان نفسه عزفت عن الدنيا وأبغضها وأهلها وصار

يفر من الناس ويخرج إلى الاماكن الخالية فيصلى خمسة عشر حزباً من القرآن
وفي الليل كذلك ولا يفتر عن ذكر الله ليلاً ونهاراً ، ثم رجع إلى العلم بسبب
رؤيا رآها أمره فيها بعض الصالحين بذلك ، لسكنه رجع إليه بظاهره لابقابه
إذ تمكن منه حب العبادة ، ثم صار يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى حفظ دلائل الخيرات ، ثم رأني أن الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم في السبحة أقرب للحضور وأجمع للقلب فأقبل عليها
واستغرق وقته فيها فكانت تشرق عليه أنوار وتظهر له زخارف وقصور
وخوارق فيعرض عنها . ثم حجب اليه القرآن العظيم فأقبل على تلاوته فكان
يختمه في الصلاة أربع عشرة مرة في الشهر فدام على هذه الحالة من التدريس
مع العبادة نحو ست عشرة سنة ، نفع الله خلقاً كثيراً تخرجوا على يديه في
العلم والصلاح والتقوى . ثم سافر إلى فاس لزيارة شيوخه . ولما كان راجعاً
مر على قبيلة بني زروال لزيارة الشيخ الأكبر مولاي العربي الدرقاوي ،
فوجد عنده تلميذه العارف الكبير سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنهما
فلقيه أولاً قبل الشيخ ، فكان أول ما خاطبه به جعلك الله كالجنييد يتبعك
أربع عشرة مائة مرقعة ثم دخل به على الشيخ مولاي العربي ، فقال له جعلك
الله كالجيلاني ، فقال له البوزيدي أنا قلت له كالجنييد فقال يجمع بينهما إن
شاء الله فبقي معهما ثلاثة أيام حصلت له فيها جذبة إلهية ثم رجع إلى
تطوان وهو على غير حالته الأولى ثم صار البوزيدي يكتبه ويراسله ، فكتب
إليه مرة . إن أردت العلوم ومخازن الفهوم فعليك بالقدوم . وكان يقول لفقراء
تطوان . والله إن حاجة سيدي أحمد بن عجيبة لعندي فليقدم على ثم بعد
مدة قدم هو إلى تطوان ، فأخذ المترجم عنه وتلقن منه . ثم قال له : أنا بين
يديك مرتي بما شئت وافعل بي ما شئت ، فقال تبارك الله عليك ثم التفت
إلى بعض أصحابه ، وقال لهم ان سيدي أحمد متصف بالزهد والورع والتوكل
والصبر والحلم والرضا والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم حتى

عد نحو اثني عشر مقاما . فقال له المترجم يا سيدي أهذا هو التصوف ، فقال له هذا تصوف الظاهر وبقي تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله ، ثم صحبه وصار يتردد اليه في غمارة ، ويخدمه بنفسه وماله ، وأقبل على المجاهدة في النفس والهوى بنحرق العوائد وارتكاب ما يثقل على النفس فلبس جلابية من الصوف قصيرة غليظة ، وخرج يمشي في الأسواق مع الفقراء وهم يذكرون وفي عنقه سبحة غليظة ، فرغب اليه أهله أن يترك ذلك ويرجع لحالته ، فأبى . فبكوا عليه ، وعزى بعضهم بعضا فيه كما يعزى في الميت ، وصارت الوفود من الناس تأتي لتعزية أهله . فلما رأى ذلك استأذن شيخه في لبس المرقعة فلبسها ففرغه الناس . ثم أمره شيخه باخراج كل ما يفضل عن قوته آخر كل يوم ، ولا يدخر لغده شيئا . ثم أمره بخدمة الفقراء وغسل ثيابهم بنفسه ، والسؤال في الأسواق والدكاكين . وعلى أبواب المساجد عند خروج الناس من الصلاة ، فثقل ذلك عليه غاية . حتى كان يتمنى الموت ويستحليه .

ثم لما رأى من نفسه امتناعا حلف يمينا مغلظة ليفعان ذلك ، فذهب الى باب مسجد ، وجلس مع العجايز والعميان ومد يده للسؤال . فكان الناس يغطون وجوههم حياء منه . ففعل ذلك مرارا عند جميع أبواب مساجد تطوان العامرة ، ثم أمره بعد ذلك بكس الأسواق وحمل ما فيها من الزبالة على عنقه . ورمى ذلك خارج البلد . ففعل ذلك مرارا وأمره بحمل الجراب على ظهره ، فصار يحمله وهو امام ببعض المساجد . فكان اذا دخل المحراب وضعه ، فاذا أتم الصلاة أعاده ، وخرج يسأل الناس في الأسواق الى غير ذلك من أمثال هذا وأشباهه إلى أن فتح الله تعالى عليه الفتح الكامل وصار من أهل الشهود والعيان وبلغ رتبة الكمال والتكميل ، فأذن له بالتصدر للارشاد والتذكير والتربية . فخرج سائحا في القبائل والمدن ، فأقبل عليه الخلق وانتفعوا به انتفاعا ظاهرا . وتاب على يديه الجم الغفير ، ودخلوا في طريق أهل الله أفواجا . وحصل له في ذلك نوادر وأخبار يطول ذكرها .

وأدخلوه السجن بسبب لبس المرقعة والاعراض عن التدريس فبقى به مدة الى أن أشهدوا عليه بالتوبة والرجوع فشهد بذلك عملاً بقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ، وقصته في ذلك طويلة مشهورة .
وألف مؤلفات نفيسة أكثرها في التصوف .

منها تفسيره البحر المديد الذي جمع فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن ، وهو في أربعة مجلدات وابقاظ الهمم في شرح الحكم وشرح المباحث الأصلية ، وهما مطبوعان معا ، وثلاثة تفاسير على الفاتحة ، وشرح الهمزية ، وشرح البردة ، وشرح الوظيفة الزروقية ، وشرح الحزب الكبير للشاذلي ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وشرح المنفرجة لابن النحوى ، وشرح تائية الجعيدى ، وتأليف في النية وأحكامها . وآخر في ذم الغيبة . وآخر في الأذكار النبوية . وتأليف في القراءات العشر في مجلد وأزهار البستان في طبقات الأعيان ، وشرح صلاة ابن مشيش . وشرح خمرية ابن الفارض . وشرح قصيدة الرفاعي التي أولها : يا من تعاضم حتى رق معناه ، وشرح بعض مقطعات الششتري . وشرح النونية له . وشرح رائية شيخه البوزيدى في السلوك . وشرح تائيته أيضا . وسلك الدرر في القضاء والقدر . وشرح أبيات : توضحاً بماء الغيب والتشوف في حقائق التصوف . وكتاب الخرة الأزلية . وكتاب الطلاسم التي حجبت عن التوحيد الخاص . وشرح صلاة ابن العربي الحاتمي . وحاشية على الجامع الصغير للسيوطي . وشرح الأجرومية بالنحو والتصوف ، وهو الذي جرد بعضهم منه قسم التصوف المطبوع . وله مؤلفات أخرى لم تتم . وجرى على يديه كرامات يطول ذكرها .

مات بقبيلة بنى سلمان الغمارية عند شيخه البوزيدى في حياته ، ثم بعد مدة نقله أصحابه ليلا من غير علم أهل القبيلة المذكورة ، فكانوا يسرون

به ليلا ويكمنون نهارا إلى أن أوصلوه إلى الزميح من القبيلة الأنجيرية حيث
ضريحه الآن .

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين وألف .

الباب الثالث

في ولادته ونشأته وطلبه للعلم وسلوكه الطريق ومجمل تاريخ حياته
ولد رضى الله عنه ليلة الجمعة ، خامس رجب سنة خمس وتسعين
ومائتين وألف بتجكان ، من قبيلة بنى منصور الغمارية .

وحفظ القرآن وهو صغير برواية ورش ؛ ثم شرع في حفظه بالروايات
السبع ، فقرأ ختمه برواية المكي على شقيقه سيدى احمد ، ثم شرع في
طلب العلم ببلده على اخيه العلامة البارع ، صاحب الاخلاق الحسنة سيدى
محمد القاضى وعلى ابن عمه العلامة المحقق زين العابدين بن محمد المؤذن ،
فأخذ عنهما بعض المبادئ ، ثم رحل به والده إلى فاس سنة اثنتى عشرة
وثلاثمائة وألف .

وانزله بمدرسة الشراطين ، ولم يذهب به إلى زاوية اصحاب ابيه لينقطع للعلم
ولا يشغله الفقراء عن طلبه ، فابتدأ يقرأ الآجرومية بشرح السودانى على أبى
عبد الله محمد بن التهامى كنون وبعض الكتب الصغيرة على غيره فصعب عليه
الأمر وصار لا يدري مايقوله الاساتذة فقابله يوماً رجل لا يعرفه فقال له اعطنى
سبعة ريال ولم تكن عنده فذهب في الحال ورهن شرح عبد الباقي الزرقانى
على مختصر خليل وأتاه بها وانصرف ثم بعد ذلك رأى في ليلة كأن رجلاً أتاه
وقال له هات الكتاب الفلانى لكتاب سماه فأتاه به فصار يقرأه معه إلى أن
أكمله أو قارب فلما انتبه وذهب للدرس وجد نفسه كأنه كان يقرأ من دسنيين وصار
لا يقرر الأستاذ معنى إلا أدركه في الحال وكذلك إذا طالع هو وحده يفهم
بسرعة من غير معين ولا مذاكر ، ثم حصل له مرض ألزمه الفراش ، فبينما هو